مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163-1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

الرموز الثقافيـــة والاجتماعيـــة للطقوس الدينيـــة مواسم الأعياد الدينية في البلدان الاسلامية نموذجا

حاج عمر فطيمة
باحثة في علم اجتماع، قسم علم اجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة تلمسان
حي حوسيني بن عمر رقم 46، ندرومة ، تلمسان ، الجزائر صندوق البريد 13
Inass39@yahoo. fr

الملخص-
تعدّ الاحتفالات الدينية من المناسبات الدورية التي تحتفل بها المجتمعات الاسلامية فهي مستمدّة أساسًا من أصل اعتقادي وإيماني يجسّد الوقوف عند محطات تطوّر ديانة معيّنة أو تعظيم شخصية بارزة، ورغم أنّ الأصل فيها اعتناق ديانة موحّدة، إلاّ أنّ طريقة إحيّائها تختلف في بعض الجزئيات الخاصة بالطقوس والرموز الشعائرية، وذلك لما للدين من أبعاد ثقافية واجتماعية تعكسها الممارسة المختلفة للطقوس الدينية التي تحمل رموزاً مرتبطة بالمقدّس، الذي يبرز من خلالها ، كما أنّها تعبّر عن قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، التي تظهر وتبرز للعيان من خلال هذه الاحتفالات الدينية التي لا تزال المجتمعات الاسلامية تقيمها كلّ حسب ثقافته وعاداته و تقاليده، المتوارثة عبر الأجيال.

الكلمات المفتاحية -
الاحتفالات – الرموز – الطقوس – المقدس – الثقافة – المجتمع

Cultural and social symbols of religious ritual Religious Feasts in the countries of the Islamic model

Abstract –

The religious celebrations are the round occasion that our Islamic societies use it ,it derived from believing and faithful, it appears in developing of a particular religious or show a famous personality. Although this events for use one religion, but,the way of it is differ in some specific details and sacraments....etc ,because the religion has cultural and social dimensions that appear in the practical of those sacraments that have symbols related with the greatest that appear on it.also it show the societies's values and traditions from this celebrations that used til now in Islamic societies that everyone use it

according to his values and traditions that heritated through generations.

Key words -

Celebrations- Symbols –Ritual- the culture- the society

تمهيـــد -

تحتفل المجتمعات البشرية عامة و الاسلامية خاصة، بإحياء الاحتفالات الدينية المستمدّة أساسًا من أصل عقدي و إيمانيي يجسِّده الوقوف عند محطّات تطوّر ديانة معيّنة أو تعظيم شخصية بارزة، ورغم أنّ هذه الاحتفالات ذات طبيعة دينية والأصل فيها اعتناق ديانة موحدة، إلاّ أن طريقة إحيائها تختلف من مجتمع لآخر في بعض الجزئيات الخاصة بالطقوس والرموز الشعائرية، وكيفية الاحتفال وليس في الكليات المتمثلة في المغزى والهدف العام من الاحتفال، لذلك سنتعرض في هذا البحث لتحديد مفهوم الطقوس الدينية وأبعادها الاجتماعية والثقافية وعلاقتها بالاحتفالات الدينية، ثم التطرق إلى الرمز الشعائري فيها، وختاما سوف يتم التطرق إلى الاحتفالات الدينية في البلدان الإسلامية بالإشارة إلى بعض النماذج الاحتفالية في بعض البلدان العربية ثم الوصول إلى استنتاج وخلاصة عامة حول ذلك.

1- **مفهوم الطقوس الدينية:** هي تصرفات محددة بقوالب شبه تكرارية، تتضمن أفعالا ورموزا تدخل فيها عادة بعض الأشياء، وكل ما يتردد أحيانا من ماضٍ سحيق. إذ يمكن تقسيمها إلى وسائل دفاع ، والتزام و طقوس رقابية تتضمن المحظورات والوصفات التي قد تكون سحرية بشكل أو بآخر، وإلى طقوس تذكارية . أو احتفالات تستند إلى الأساطير التي تعيد إحيائها، وتكرر تمثيلها، وهي تجهد من خلال التكرار إلى استعادة الزمن، أو بالأحرى إلى الخروج من نطاق مرور الزمن.

فيمكن أن تربط طقوس المسارة الشبان بموسم البدر، أو بوضعية تكفير، كما أن التقويم المسيحي للزمن يربط مراحل السنة بحياة السيد المسيح[1]. أو ربطها بهجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، كما هو في الدين الإسلامي...الخ .

"فممارسة الطقوس والشعائر الدينية هو نشاط اجتماعي أساسي" [2] يشترك فيه أفراد المجتمع الدين يحملون نفس الاعتقادات والعادات والتقاليد ، فكل جماعة أو مجتمع يضع هويته في مكان ما من ذلك.

"ومما يعاش ضمن سلسلة طقوسية كاملة، فإن التجربة الشاملة للممارسة الأسطورية و الطقوسية تمثل انعكاسا لحياة المجتمع بكامله، بوصفه كلا منظما" .[3]

---

[1] - بيار بونت، ميشال وآخرون : معجم الاتنلوجيا والأنتربولوجيا ، ترجمة مصباح الصمد ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، 1427ه/ 2006م، ص181.

[2] - المرجع نفسه :ص 246.

ورغم تركيز معظم المجتمعات المحلية على عدم المساس والتغير في هذه الطقوس إلا أن العديد من الأنتربولوجين ك (ر- برادنت و ب-غلوكوزيوسي) برهنوا على أن الطقوس الدينية الديناميكية تشكل ركيزة هامة للإبداع الفكري ووسيلة إعادة طبع وهيكلة وتنظيم العلاقات الاجتماعية ضمن هذه الأطر المستحدثة للتغيير[4]، التي يجريها أفراد المجتمع أنفسهم وتنتقل إلى الأجيال القادمة، والتي يتطلب تغيرها المرور بمراحل طويلة من الزمن.

2- الأبعاد الاجتماعية والثقافية للدين والطقوس الدينية: يُعد الدين أهم عنصر في حياة الإنسان لما له من صفة الشمول لجميع مناحي حياة الإنسان خصوصا الجوانب الاجتماعية والثقافية، ويمكننا هنا إبراز أهمية هذه الأبعاد بالنسبة للفرد والمجتمع.

2-1 الأبعاد الاجتماعية: يُعد الدين جزءًا لا يتجزأ من الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصله عن الحياة الاجتماعية وممارسات الأفراد، فالظواهر الاجتماعية داخل جماعة معينة أو داخل المجتمع تتميز بصفة التداخل، حيث أنها تتفاعل بصفة مستمرة مع بعضها البعض، كما يتفاعل الدين بطريقة ديناميكية مع كل الظواهر والعمليات الاجتماعية ... فالدين يؤثر ويتأثر بها، و يعتبر متغيرا مستقلا، وتابعا في نفس الوقت، كما أن الظواهر الاجتماعية ذات البعد الديني هي إحدى الاهتمامات الرئيسية في الاجتماع الديني[5].

كما أن للدين دور في تدعيم القيم الإيجابية لدى الأفراد، والبعد عن العادات السلبية بما أنه يدعو إلى الأمانة، الصدق، العمل، حب الناس والمساواة إلى غير ذلك، وينهى عن الفواحش والمنكرات فالدور الأكبر في ذلك هو دور الممارسات، خصوصا العبادة[6]. مما يساعد على حفظ توازن المجتمع وضمان صيرورة الحياة بصفة أفضل.

وله تأثيره كذلك في الحياة عموما، وأثره متعدد ومتنوع حسب طبيعة هذا الدين وتصوره العقائدي والاجتماعي وحسب اهتمامه بالبعد الاجتماعي تكون أحكامه وتشريعه وتوجيهه بالنسبة لهذه الجوانب، فأي ظاهرة دينية، لها الكثير من الوظائف والأبعاد الاجتماعية، فلا يكاد أي دين يخلو من الأبعاد الاجتماعية المؤثرة في المجتمع عموما، وفي أنشطة الفرد سواء الفردية أو الجماعية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. فيظهر البعد الاجتماعي في الأديان خصوصا وبوضوح من خلال المظاهر الطقوسية أو الشعائر التعبدية الممارسَة في الحياة

---

[3] - المرجع نفسه ص 247.

[4] - الموضع نفسه .

[5]-- حسين أحمد رشوان **: دراسة في اجتماع الدين** ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر 2004 م، ص 82 .

[6] - محمد أحمد بيرمي : **القيم وموجهات السلوك الاجتماعي** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2006 ، ص 151 .

اليومية، مثل : الصلاة الزكاة والحج ...وغيرها من الأفعال الدينية الفردية و الجماعية و الاحتفالات الدينية[7]. هذه الأخيرة التي هي موضوع الدراسة الحالية.

2-2 :الأبعاد الثقافية: يعبر الدين عن ثقافة الشعوب والأمم والحضارات ليس لكونه يتضمن النصوص والتشريعات وقيم وتعاليم الدين فقط ، بل هو كذلك يعبّر عن ثقافة اجتماعية مجسدة من خلال نظام من الممارسات الفردية والجماعية مبلورة في العادات والتقاليد، وهو كذلك نظام من التصورات التي قد يختلف الأفراد في طريقة استيعابها والتعبير عنها كما أنه يعبر عن ثقافة متكاملة تمثل رؤية شاسعة لعلم والطبيعة والوجود الانساني لأنه يعطينا تصورا عاما للبناء الاجتماعي للأفراد من الناحية الاقتصادية والسياسية والأخلاقية ...فليس المهم سعي العقيدة الدينية الى بناء الأمة من الناحية الروحية كما هو عند المسيحية أو بناء أمة اجتماعية روحية كما هو الحال في الإسلام بل الأهم أنها تُعد بمثابة المرجعية للمنتسبين له، تحدد قواعد صارمة للفكر و السلوك وأفكار وقواعد بمثابة عقائد راسخة غير قابلة للمراجعة في جانبها اللاهوتي وإن كانت قابلة للتغير في الجوانب الاجتماعية المتعلقة بالاجتماع المدني بصفة خاصة، ذلك لأن الدين ينطلق من نماذج روحانية محددة ومتعارف عليها تترجم إلى فرض نماذج أخلاقية وقيم ثابتة ومحددة، لتشكل بذلك شبكة متكاملة من النماذج الفكرية و السلوكية التي تؤطر حياة المؤمنين به فالدين بذلك يمثل ثقافة لنمط من المعرفة الخاصة بالوجود الطبيعي و الاجتماعي وهو بذلك يختلف عن العلم والفلسفة و الأسطورة، حيث يفرض على المؤمنين به جملة من الاعتقادات ذات الطابع الروحاني توجههم على جميع الأصعدة اجتماعيا وإنسانيا ... إذ يمكن اعتباره ثقافة بوصفه نمطا مغلقا من القيم ، العادات ،الطقوس و الشعائر، ذلك أنه منهج ثابت الملامح لممارسة الحياة وبناء الاجتماع وإعادة إنتاجه[8].

وكما يقوم الدين بتشكيل الثقافة وتعبئتها، يقوم أيضا بشحنها بالرموز والمضامين والقيم كما يساهم في تشكيل حقلها الخاص داخل الاجتماع المدني، الذي يتكون بالتفاعل مع الحقل الاجتماعي، بما يحمله من ضغوط وتحديات واستجابات تُفضي إلى تعبئة "المخيال الجماعي " برموز وعادات و قيم وتقاليد، من شأنه استثمارها في الحقل الثقافي لإعادة التوازن للذات"، وتقويم سلوكها نحو الأفضل، وبذلك يعد الدين طاقة تعبوية لشحن الحقل الثقافي، حيث هناك حالتين للدين، يمثل في الأولى نسقا متكاملا يمد المؤمنين بأنماط تتعلق بالقيم وإدراك الوجود، أما في الثانية فهو يعد عنصرا فاعلا داخل نسق أشمل، يتمثل في جميع نواحي المجتمع وأبعاده السياسية، الوطنية، القومية والإنسانية،

[7] - عبد الحليم محمود :**الصلاة أسرار وأحكام** ، دار المعارف ، القاهرة ، 1993 ، ص42 .

[8]- عبد الغني عماد: **سوسيولوجيا الثقافة** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان ، 2006 ، ص138- 139 .

ونحتاج لفهمه في الحالة الأولى إلى تحليل معرفي ديني، أما في الحالة الثانية فنحتاج لفهم الواقع وتحليله تحليلا سوسيو- ثقافي، لفهم ميكانيزمات الثقافة الدينية ضمن البناء الاجتماعي ، واستثمارها للدين في عملية بناء الثقافة[9].

والدين الإسلامي له حكمته و فلسفته الخاصة في العلاقة بين الثقافة والدين، ففي الإسلام الدين صانع الثقافة، وهناك اتحاد للعلاقة بين الثقافة والدين مع أول كلمة نزلت في القرآن الكريم وهي آية "اقرأ " فالدين الذي يبدأ بهذه الكلمة قادر على أن يصنع ثقافة، ويكون أمة ويبني حضارة ، ذلك أن الدين الإسلامي يربط الثقافة بمرجعية الوحي من جهة، ويجعلها مرتبطة بالعقيدة من جهة، فالوحي هو مصدر الحقائق والمعارف واليقينية المتصلة بعالم الغيب، نظرا لقصور العقل أحيانا في الوصول إليها بموثوقية ويقين وهو منبع العقيدة التي تجعل الثقافة ترتبط بأصول ثابتة وبشعائر وممارسات تعبدية تزكي النفس، وتهذب الثقافة وتسمو بحكمتها وفلسفتها، إذ تحافظ على فاعليتها وتماسكها[10].

وبذلك يتضح دور الدين البالغ الأهمية في الحياة الاجتماعية على المستوى الفردي والجماعي، والميزة الخاصة التي يطبع بها كل المنتسبين له، فالطقوس الدينية تعد انعكاسا لهذه الأبعاد

و يمكننا فيما يلي توضيح أهمية هذه الطقوس ضمن المجتمع والتي تبرز من خلال الاحتفالات الدينية الخاصة به.

3- الاحتفالات الدينية:

تعتبر الاحتفالات الدينية من أهم المحطات التي يتوقف عندها المسلمون كل سنة من أجل دوام تذكير الناس بها حتى تستمر حيّة في نفوسهم، فيستمرون في إحيائها بالذكر والعبادة وبذل الصدقات، وقد تشارك الدولة والهيئات الرسمية في إحياء بعض المناسبات العامة الأخرى، وإحياء ليلة القدر، ليلة الإسراء والمعراج، رأس السنة الهجرية، والاحتفال بذكرى المولد النبوي ، و ليس هناك من شك في حاجة الناس القوية لهذه المحطات التذكيرية التي تقوّي إيمانهم ووحدتهم، لذلك سوف نتطرق فيما يلي بشيء من التفصيل إلى هذه الاحتفالات وكيفية إحيائها في المجتمع الإسلامي، من خلال إبراز نموذج الاحتفال لأحد البلدان الإسلامية، منها بلاد المغرب والإسكندرية .

3-1- الاحتفالية الدينية والطقوس: تمر التجربة الدينية بعدة مراحل وبوصولها إلى مرحلة معينة من الشدة من خلال الشعور والإحساس الديني الداخلي لدى الأفراد، فإنها تتطلب "ممارسة طقسية، بحيث نجد أن الوعي بالقدسي شيء مغروس في النفس الإنسانية، حسب تعبير **شلرماخر**Chelrmakhar الذي يعتبره تجربة مع الآخر المختلف كليا ، ويطلِق

[9]- الموضع نفسه .

[10]- زكي الميلاد :**المسألة الثقافية** ، من أجل بناء نظرية في الثقافة ، المركز الثقافي الغربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2005 ، ص 118- 119.

R,Otto على هذا الإحساس بحضور الآخر تعبير الإحساس النومينيي le Numineux، أي تَجلي الألوهية وقوتها" [11]، إذ يرى أن هذا العنصر هو الحالة الأولى من الوعي ويكمن في البنية الأساسية لأي تجربة دينية .

ويعد المعتقد أول أشكال التعبير الجماعية التي تعبر عن التجربة الدينية الفردية ، فهو يمثل حالة انفعالية مجسدة في الواقع السائد ضمن الفضاء الروحي للمؤسسة الدينية، وتترجَم إلى ممارسات طقوسية، حيث تُعد الموسيقي والرقص الحر من بين أول الأشكال التعبيرية الحرة، التي تحولت بمرور الوقت والممارسة المتكررة إلى طقوس مقننة، تخضع دائما إلى الخصوصية الثقافية لكل مجتمع .

وتمر الطقوس الممارسة في أي احتفال عبر جميع مراحل تسلسله وتطوره بإخضاع أفراد هذه الجماعة إلى مجموعة من القواعد، تساعدهم في السيطرة على عواطفهم وأحاسيسهم النفسية، التي عادة ما تكون موحدة ومشتركة بينهم، والتي يتم التعبير عنها خارجيا بعد ذلك حسب رموز وإشارات متعارف عليها و متفق عليها ضمن الجماعة[12].

و في هذه الحالة، يصبح طقس الاحتفال عند جماعة المحتفلين طريقة مقننة ومتفق عليها، تتم بطريقة موحدة سواء بالتعبير الجسدي كالرقص أو الغناء المتعارف عليه، أو غير ذلك من التعبيرات المختلفة.

4- الرمز الشعائري في الاحتفالات الدينية: تتمحور الاحتفالية الدينية في عدة ممارسات وشعائر ورموز، لكل منها أهميتها الخاصة التي نحاول من خلال هذا العنصر توضيحها وإبراز قيمتها ضمن أي احتفال ديني .

أ-الشعائر : الشعائر هي نوع من التصرّفات والممارسات التي تخضع لقواعد مقررة، القصد منها تتَابع بعض الأفعال والحركات الموجهة لتحقيق غاية معينة، الواجب تكرارها كما هي بدون تغيّر شكلها كلما حلّت المناسبة لإجرائها، إذ تعتبر ممارسات سنوية أو دورية تساهم في تجديد وشد أواصر العلاقات بين الأفراد بعضهم البعض بشعور الانتماء أو الترابط، وعرّفها **تالكوت بارسونز T Persons**: بأنها الممارسات والأفعال المرتبطة بالمقدس. كما عبّر عنها **ريموند فيرت Raimond firt** بأنها وسيلة لتأدية الفعل الديني وهي رمز للطاعة. أما **راد كليف براون Redklif Braown** فيرى أن الشعائر تمثل طريقة رمزية تعبر عن العواطف والقيّم.

وتحدث **وليام هافليند W-haflind** وآخرون عن الشعائر باعتبارها وسائل تربط الأشخاص بالشيء المقدس ويغلب عليها الطابع الديني، كما أنها تهدف للعمل على تقويّة الروابط الاجتماعية من ناحية، وتساعد على التخلص من

---

[11] - حمادي محمد: السماع الصوفي العيساوي بين الدنيوي والمقدس، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات** ، العدد السادس، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ديسمبر1430ه/2009 م، ص 177.

[12] - الموضع نفسه .

التوتر والاضطراب من ناحية أخرى، وقد ارتبط مفهوم الشعائر في الدراسات الأنتربولوجية ببعض الممارسات الدينية التي تتم في جماعة، وتدور حول بعض الأفكار الخارقة للطبيعة.

وقد عرف **ترينر Triner** الشعيرة بأنها سلسلة متكررة من الأنشطة التي تتضمن الحركات والكلمات، التي الهدف منها التأثير في الموجودات أو القوى الخارقة للطبيعة وهي ترتبط بتغيرات شخصية أو جماعية، مثل الاحتفالات الخاصة بدورة الحياة أو بتغيرات الحياة[13].

من خلال سردنا لمختلف هذه التعاريف يتبين لنا أن الشعائر تُعد تعبيرا رمزيا عن الاتجاهات المشاعر، القيم، والمعتقدات التي تجمع أفراد معينين ضمن جماعة معينة، والتي لها علاقة وثيقة بالمقدّس تترجَم عن طريق أفعال وممارسات متكررة بصورة منتظمة، بفضلها تتم تقوية المعتقد نفسه، كما أنها تعكس قوة التماسك والترابط بين أفراد المجتمع.

أ-1 أهمية الشعائر ضمن الاحتفالات الدينية: للشعائر دور هام ضمن الاحتفالات فهي تعد مرآة تعكس مفاهيم ومدركات الأفراد والجماعة تجاه المجتمع ونظام الكون عموما، وهي تفصح أيضا عن طريقة تعامل الأفراد مع المقدّس، لذلك تتجلى هذه الشعائر في أسمى صورها وأوضحها، خصوصا في المجال الديني، كما أنها تلعب دوراً كبيراً في تدعيم القيم العامة، التي تلقى القبول في المجتمع حسب الثقافة التي يتميز بها هذا المجتمع ، ذلك أن الشعيرة كنمط من السلوك المتكرر الذي تتم ممارسته في مناسبات خاصة، تمثل لحظة يشترك فيها الجميع ويشعرون فيها "**بالتضامن**"، لأنها تعبر عن اتجاهاتهم وقيّمهم ومعتقداتهم المشتركة، التي يساهمون في تثبيتها والحفاظ عليها.

كما تعمل المشاركة الناجحة في الجماعة على التحقيق المستمر للنسق الرمزي الذي تستدعيه الشعيرة التي تمثل تعبيرا رمزيا عن المشاعر التي ترتبط بموقف ما، وهي تأكيد ذات دلالة رمزية للقيم السائدة في مجتمع ما، مع الالتزام بأفعال و أقوال منتظمة ثقافيا ومتفق عليها[14].

ب- الرموز : تمثل الأنماط الثقافية صورا أو نماذج تعبر عن مجموعة من الرموز المتصلة بعضها ببعض هذه الصور لها معنيان: الأول يكمن في ذاتها، والثاني يدل على معنى آخر، فالرمز هو الشيء الذي يشير إلى شيء آخر ويستحضر في الذهن الشيء الشبيه به، أو ما يرمز له دون أن يظهر، وإنما يرمز إليه و يدرك بواسطة ارتباطه به.

فالرموز إنما هي طرق مختصرة متفق عليها من قبل أفراد المجتمع أو الجماعة، كي يتصل كل بالآخر، لذلك لا تكمن أهمية الرمز في معناه وقيمته

---

[13]- جاد الله منال :**سلبيات وايجابيات الممارسات والاحتفالات الدينية** (دراسة أنثروبولوجية)الجلال للطباعة ، الإسكندرية ، مصر 2007 ، ص19-20.

[14]- المرجع نفسه، ص 20.

وفي خصائصه الداخلية فحسب، وإنما هي تستقر في الشيء المرموز له والذي هو شيء آخر.

وهي أشكال معيارية تشير إلى الأفكار والمفاهيم السائدة في المجتمع، وهي أداة للفهم والإدراك فهي وسيلة لإثارة العواطف والمشاعر والأحاسيس، وحث الفرد عل أفعال معينة، كما أنها تظهر عادة بصورة أوضح في أنماط منتظمة من الأنشطة كالشعائر الدينية، وبرغم من تعدد تعاريف الرموز، إلا أن الرموز الجماعية في أساسها ترتبط في أحد وظائفها بأداء الشعائر التي تستلزم اشتراك أفراد المجتمع فيها[15].

كما أن الشعائر والطقوس تعبّر في كثير من جوانبها عن البناء الرمزي الذي يسود تلك الأنماط الثقافية المحلية لمجتمع معين، والتي تهدف عموما إلى جلب البهجة والسعادة والمرح في جو هذا الاحتفال، نظراً لما تؤديه هذه المناسبة من فوائد كبيرة للفرد والمجتمع[16].

فكما أنها تعود بالفائدة على الأفراد المشتركين في هذا الاحتفال، فهي كذلك على كل من حولهم وذلك مع تأثير الطقوس ذات الفاعلية المجتمعية، التي تتميز بممارسات ذات دلالة رمزية تترجم عبر شعارات ملموسة مادية وجسدية، تتمثل في مجموعة من التصرفات المتفق عليها شكليا، لها سند جسدي متمثل في دلالات، إما أن تكون عبارة عن "كلام أو إشارات" كما أنها ذات طابع تكراري وشحنة رمزية قوية للفاعلين وللشهود[17].

ج- علاقة الرموز بالشعائر والاحتفالات: تتضح أهمية علاقة الرموز بالشعائر والاحتفالات في دورها البالغ الأهمية في غرس الأفكار والمعتقدات والقيم لدى الفرد والمجتمع، من خلال المشاركة الفعالة والمستمرة في الشعائر التي بدورها تدعم وتؤكد ضرورة القيم ثقافيا، وانتشارها اجتماعيا، واستمرار أفراد المجتمع في الحفاظ على ديمومتها، نظراً للدور الكبير الذي تلعبه في التنشئة الاجتماعية للأفراد فيمكن اعتبارها أداة رقابة وضبط للسلوك الاجتماعي، وبذلك تتضح لنا علاقة الرموز بالأفكار والمعتقدات والقيم، وعلاقة القيمة بثقافة المجتمع .

ومن هنا يتبين لنا التداخل الوثيق بين الرموز والشعائر والاحتفالات، هذا التداخل والتشابك يرجع إلى أن كل تلك الإجراءات لها مرجعية واحدة، تتمثل في وجود ثقافة موّحدة لدى أفراد هذا المجتمع كما أنها تتلاقى كلها في نوع واحد، وتمتاز بسمات خاصة

---

[15]- المرجع نفسه، ص 21.

[16]- محمد عباس إبراهيم :الثقافات الفرعية (دراسة أنتربولوجية للجماعات النوبية بمدينة لإسكندرية)، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،2001، ص 215.

[17]- مارتين سيغالان: **الطقوس و الطقوسيات المعاصرة** ، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية ، ترجمة ميلود حكيم ، شركة حوار للصحافة والنشر ، بيروت ، لبنان، عدد رقم 12، شباط 2002 ، ص 56.

هي: التكرار، الاطراد، والانتظام بصورة تقليدية ثابتة ومعينة، ومن هذه السمات تنبع أهمية هذه الإجراءات كعامل واحد مهم في تثبيت التقاليد وتأييدها وتدعيم القيم، فالممارسات المتكررة بصفة دائمة وبشكل معين، مصحوبة بخواطر ومعاني تتداعى دون أي مجهود، تولِّد لدى الإنسان الإحساس بأن ما يتكرر ويَطَّرد حقٌّ وضرورة، وهذا الإحساس يولّد الرغبة في تمسك أفراد المجتمع بهذه الشعائر والاحتفالات، من ثم يزداد التمسك والاعتزاز بالتقاليد والقيم والأفكار التي تعتز بها الجماعة وتعمل على المحافظة عليها، مما يؤدي إلى زيادة تماسك الجماعة، إذ من المعروف أنه كلما التقى الناس في فهم وتصورات ومفاهيم ومعتقدات مشتركة، كثرت علاقاتهم و تعاملاتهم وتفاعلهم بعضهم مع البعض، و زاد بالتالي وتأكد تضامنهم ووحدتهم وتماسكهم الاجتماعي[18].

5- الاحتفالات الدينية في البلدان الإسلامية: يحتفل كل مجتمع من المجتمعات بعدد من المناسبات الخاصة والعامة الوطنية والعالمية من بينها: عيد المرأة، عيد الأم، عيد الطفولة ... الخ والمناسبات الوطنية الخاصة بالوطن كعيد اندلاع الثورة وعيد الاستقلال ... الخ، كل هذه الأعياد هي أعياد ذات طابع بشري أي أن البشر هم من استحدثها، بغية ترسيخ التاريخ أو لأغراض أخرى حسب كل مجتمع، كما أنها أعياد مستحدثة مقارنة مع النوع الآخر من الأعياد، وهو الأعياد الدينية التي لها ارتباط روحي مع الإله ولها قوتها المتمثلة في الطقوس والشعائر والرموز الدالة عليها، وهي تجمَع كل المجتمعات التي تشترك في دين واحد، كما أنها أعياد ضاربة في جذور القدم، نجد منها الأعياد الدينية التي تحتفل بها المجتمعات الإسلامية، هذه الأخيرة التي سنتناولها في هذا العنصر من البحث بشيء من التفصيل، و لنا أن نشير إلى نموذج من هذه الاحتفالات كالآتي :

- الاحتفال بعاشوراء : وهو اليوم العاشر من السنة الهجرية
- الاحتفال بليلة القدر : وهي في شهر رمضان
- الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى
- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: الذي يكون في شهر ربيع الأول الهجري.

أ - **الاحتفال بعاشوراء :** ويكون الاحتفال بعاشوراء في اليوم العاشر من شهر محرم أول شهور السنة الهجرية الجديدة، يبدأ هذا الاحتفال في بلاد "المغرب" مباشرة بعد غروب الشمس، حيث تُجمع أكوام الحطب المكونة من أغصان الشجر وبعض النباتات الشوكية، وتوضع عليه قطع من لحم القديد المخبأة من لحم عيد الأضحى، فيقوم رجال البيت بالقفز على هذه النار مكبرين (الله أكبر) ويليهم الأطفال وحتى النساء.

وتجتمع الأسر في هذه الليلة على موائد العشاء، لتناول وجبة خاصة بالمناسبة، بالإضافة إلى اجتماع النسوة والأطفال، ويبدأ الضرب على الدفوف والأداء الجماعي لعدد من الأغاني الخاصة بالمناسبة، وفي الصباح الموالي أول تصبح النسوة والبنات

[18]- جاد الله منال : مرجع سابق ، ص 21- 23 .

باكرا للاستحمام بماء البرك والأنهار الراكد، ويخرج الأولاد بحلة جديدة متجهين في هذه الصبيحة إلى المقابر لزيارة الموتى والتصدق على أرواحهم بالخبز والحليب والتين المجفف، وبقراءة آيات من القرآن من طرف صغار الطلبة حفظة القرآن، وإنشادهم المدائح الدينية مع مشاركة الحاضرين بترديد بعض اللازمات، أو حتى التمايل وتحريك الرأس دلالة على الغبطة والنشوة[19].

ب - الاحتفال بليلة القدر: " الاحتفال بليلة القدر في "مصر" هو احتفال ديني وقد اتفق علماء الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية على اتخاذ ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان للاحتفال الديني بليلة القدر، ويتخذ الاحتفال طابعا رسميا بحضور رئيس الجمهورية والإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ووزير الأوقاف وكبار الشخصيات بالدولة وعلماء الدين بمصر ومختلف البلدان العربية ، ليتم في هذه الليلة تكريم كبار الشخصيات من مختلف البلدان الإسلامية والفائزين في المسابقات الدينية المختلفة، التي نظِمت في الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف بهذا الشهر الكريم، أما الاحتفال الشعبي فيبدأ عقب صلاة العشاء بالمساجد المختلفة التي تكتظ بالمصلين لأداء صلاة التراويح وصلاة الفجر، ليرفع بعدها الدعاء والابتهالات التماسا لبركة هذه الليلة التي ذكرت في القرآن أنها خيرٌ من ألف شهر، وهي ترمز لنزول الروح الأمين على سيدنا محمد ﷺ"[20].وهذا الاحتفال مشابه لما هو موجود في المجتمعات الإسلامية الأخرى، إذ يكون الاختلاف في بعض الجزئيات البسيطة فقط .

ج - الاحتفال بعيد الأضحى : يسمى هذا العيد في بلاد المغرب "بالعيد الكبير"، ويكون في اليوم العاشر من ذي الحجة، آخر شهور السنة الهجرية الأكثر قداسة، حيث يتم فيه الحج إلى بيت الله الحرام، ويُقام فيه يوم النحر الذي يعتبر سنة مؤكدة يؤديها المسلمون في جميع أنحاء المعمورة، ويستحضر هذا الطقس عند المسلمين قصة إبراهيم الخليل، الذي قِيل أن يضحي بابنه إسماعيل من أجل الله، الذي افتداه بكبش عظيم. وترمز هذه القصة القرآنية إلى ضمان استمرارية الأمة، فالنبي إبراهيم الخليل هو الجد الأول الذي أنقذ الجماعة بأضحية، ولذلك يحرص معظم الآباء وأرباب الأسر المسلمين على أداء هذه الشعيرة الدينية كل سنة .

حيث يتم الاحتفال ابتداء من الصبيحة، بالاستحمام ولبس أجمل الثياب، وبعد أن يأخذ أرباب الأسر زينتهم يتوجهون إلى المسجد لأداء صلاة العيد و بعدها مباشرة يعودون إلى منازلهم وينتظرون أن يضحي "عاهل البلاد" بأداء هذه الشعيرة ليقوموا هم بدورهم بذلك. وبعد الفراغ من ذلك تتوالى الزيارات المتبادلة بين الأسر، وزيارة المقابر للترحم على أرواح الموتى[21].

هذا عن عيد الأضحى في المجتمع المغربي كنموذج عن البلدان الإسلامية

---

[19]- عبد الغني منديب :**الدين والمجتمع** (دراسة أنتربولوجية للتدين بالمغرب)، دار إفريقيا الشرق ،المغرب، 2006 ، ص132 -133 .

[20]- جاد الله منال : مرجع سابق ، ص 31 .

[21]- عبد الغني منديب : مرجع سابق ، ص 143 -144 .

د - الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: تولّى ليلة ميلاد الرسول الكريم أهمية كبيرة ذلك لأن ظهوره إلى الوجود فيها جعل منها ليلة غراء عامرة بالمعاني والوعود، فمولده عليه السلام هو مولد لآخر الأنبياء والمرسلين، المبعوث للبشرية في كل زمان ومكان، لأنه الجامع لفضائل رسالاتهم كلها[22]. لذلك تولي المجتمعات الإسلامية أهمية بالغة لهذه المناسبة، خصوصا المجتمع المغربي عموما، ذلك لسيادة الاعتقاد أن معظم الأسر المغربية العريقة لها نسب للرسول عليه الصلاة والسلام ويطلق عليهم الأشراف، حيث يتمتعون بإجلال واحترام غالبية أفراد المجتمع نظراً لهذا النسب.

ويتميز الاحتفال في بلاد "المغرب" بأخذ شكل الموكب الحافل في مختلف المدن مع على إقامة (الحضرة) وهي عبارة عن المدائح النبوية داخل الديار، وتعتبر الشموع رمزا للاحتفال وتخليدا للذكرى، حيث تأخذ شكل هياكل خشبية شبيهةً بشكل الهودج المزخرف بألوان زاهية وأحجام مختلفة فيجوب جميع أنحاء المدينة، و قد اتخذ حاليا طابع الرسمية حيث يتم إشراك الشرطة في تنظيمه، إذ يسبق الحفل الموكب سيارات للشرطة لإفساح الطريق، في مقدمتة فتيات يرتدين الزي العسكري ثم عربات الزهور، وحاملو صور الأسر المالكة، وأخرى للمسجد الأقصى ومسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء. ويتبع ذلك حفظة القرآن من الأطفال بمدينة "سلا" ويليهم كبار السن، ثم وراءهم حاملو البخور و مرشات ماء الزهر، متبوعين بحاملي الشموع المشكلة والمزخرفة ويقومون بأداء بعض الخطوات الراقصة على وقع الطبول، ثم يليهم حاملي التمر والحنة في الأواني المخصصة لهم، رمزا للخير والرخاء، ويتبع ذلك استعراض بعض الطوائف الدينية مثل : "العيساوة و الجناوة"، كل ولافتاته وزيه الخاص ورقصته المميزة على الأنغام الموسيقية الخاصة به .

وينتهي الموكب بمشاركة الحرفيين والمبدعين في الصناعات التقليدية المغربية بعرض نماذج من منتجاتهم المختلفة، مثل الجلود، الأخشاب، السجاد والملابس التقليدية وغيرها، تبركا بهذه المناسبة ، لإضفاء الخير والبركة على هذه الصناعات و منتجاتها المختلفة[23].

خلاصة:

و منه يمكننا القول من كل ما سبق من هذه الدراسة أنه يتم الإجماع على أن الدين يعد من أهم المقومات الأساسية للأمم في كافة الثقافات على اختلاف أنواعها، ولا يمكننا فهم أي ثقافة من الثقافات إلا بالرجوع للعناصر الدينية التي تؤثر على البُنى الرئيسية المكّونة لتلك الثقافات، وذلك لما للدين من أبعاد ثقافية واجتماعية تعكسها الطقوس الدينية ، ومن بين هذه الأبعاد الثقافية ممارسة الشعائر والطقوس الدينية التي هي بدورها تحمل رموزاً مرتبطة بالمقدّس، الذي يبرز في مثل هذه الاحتفالات الدينية الذي ترافقه طقوس معينة ذات طابع تقدسي يتمثل إما في قصة قرآنية كما تخلده

[22] - الربيع ميمون : **مجلة الثقافة الإسلامية** ، العدد الثاني، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1427 ه/2006م ، الجزائر ، ص27 .

[23] - جاد الله منال: مرجع سابق، ص42 – 44.

ذكرى عيد الأضحى أو تخليد لميلاد شخصية عظيمة كشخصية النبي محمد ﷺ ...الخ ، كما أنها تعبر عن قيم المجتمع وعاداته وتقاليده التي تظهر وتبرز للعيان من خلال الاحتفالات الدينية التي لا تزال المجتمعات الإسلامية تقيمها، كل حسب ثقافته وعاداته وتقاليده، المتوارثة عبر الأجيال.

المراجع :

1. بيار بونت، ميشال وآخرون : معجم الاتنلوجيا والأنتربولوجيا ، ترجمة مصباح الصمد ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، 1427ه/ 2006م، ص181.
2. المرجع نفسه :ص 246.
3. المرجع نفسه ص 247.
4. الموضع نفسه .
5. حسين أحمد رشوان **: دراسة في اجتماع الدين** ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر 2004 م، ص 82 .
6. محمد أحمد بيرمي : **القيم وموجهات السلوك الاجتماعي** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2006 ، ص 151.
7. عبد الحليم محمود :**الصلاة أسرار وأحكام**، دار المعارف، القاهرة، 1993، ص42.
8. عبد الغني عماد :**سوسيولوجيا الثقافة** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان ، 2006 ، ص138- 139 .
9. الموضع نفسه.
10. زكي الميلاد :**المسألة الثقافية** ، من أجل بناء نظرية في الثقافة ، المركز الثقافي الغربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2005 ، ص 118- 119.
11. حمادي محمد: السماع الصوفي العيساوي بين الدنيوي والمقدس، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات** ، العدد السادس، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ديسمبر1430ه/2009 م، ص 177.
12. الموضع نفسه.
13. جاد الله منال :**سلبيات وايجابيات الممارسات والاحتفالات الدينية** (دراسة أنثروبولوجية)الجلال للطباعة ، الإسكندرية ، مصر 2007 ، ص19-20.
14. المرجع نفسه، ص 20.
15. المرجع نفسه، ص 21.
16. محمد عباس إبراهيم :الثقافات الفرعية (دراسة أنتربولوجية للجماعات النوبية بمدينة لإسكندرية)، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،2001، ص 215.
17. مارتين سيغالان: **الطقوس و الطقوسيات المعاصرة** ، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية ، ترجمة ميلود حكيم ، شركة حوار للصحافة والنشر ، بيروت ، لبنان، عدد رقم 12، شباط 2002 ، ص 56.
18. جاد الله منال : مرجع سابق ، ص 21- 23.
19. عبد الغني منديب :**الدين والمجتمع** (دراسة أنتربولوجية للتدين بالمغرب)، دار إفريقيا الشرق ،المغرب، 2006 ، ص132 -133.
20. جاد الله منال : مرجع سابق ، ص 31.
21. عبد الغني منديب : مرجع سابق ، ص 143 -144.
22. الربيع ميمون : **مجلة الثقافة الإسلامية** ، العدد الثاني، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1427 ه/2006م ، الجزائر ، ص27.
23. جاد الله منال: مرجع سابق، ص42 – 44.